مسالة القيادة بالشرق الجزائري بداية الاحتلال (1830–1870)منطقة الحضنة الشرقية نموذجا

د/ صالح لميش
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعة المسيلة

الملخّص:

اخذت مسألة ادارة وتسيير الأهالي الجزائريين بداية الاحتلال الفرنسي جانب كبير من الاهمية لدى الساسة والعسكريين الفرنسيين على السواء، ورغم الطابع القهري الذي اتسمت به توسعات الاحتلال، فقد حاولت من جانب اخر القيادة العسكرية الأولى- بناء على الدرسات والمعطيات المستقاة حول أحوال الجزائر قبيل الغزو-أن تستغل توجه بعض الأعيان من الأهالي في الاستفادة من طموحاتهم في خدمة الأمن بمناطقهم واستحداث قيادات اهلية نافذة كسلطة موازية من الأهالي على الأهالي. كغيرها من مناطق الجزائر وجدت الحضنة بداية الاحتلال في وضع إداري تشابه في كثير من اشكاله مع ما حصل في اقاليم اخرى كقسنطينة ومجانة واستنادا على الوثائق الأرشيفية المختلفة، نحاول في هذا الاطار ابراز توجه فرنسا الاستعمارية في تقسيم منطقة الحضنة من خلال استحداث بعض القيادات عليها ومدى تأثيرها على الوضع العام بالمنطقة بداية الاحتلال

Résumé :

Nous voulons par cette contribution historique , et selon les documents d'archives coloniales, évoquer une question que nous considérants aussi importante, qui est l'administration coloniale des indigénes algeriens durant l'expansion de colonialisme français dans le Hodna orientale entre 1838-1871. L'autorité française militaire et politique a pu exploiter les multiples contradictions sociopolitiques dans la société tradionnelles dans le Hodna avant 1830, dans ses directives administratives(Kaidas ou khlifats) qui on donner a la France un potentiel aussi important pour mieux maintenir la paix, et gérer et introduire ses projets coloniales, qui on laisser des coséquences très durs sur les institutions traditionnels socio-économique. Reposant sur une structure trible et la primauté du collectif, l'équilibre de la société traditionnelle du Hodna s'est trouvé gravement compremis par la politique coloniale qui consiste a cotroler, et encadrer les habitant, considérant la libre errance de ses derniers comme un obstacle à sa domination.

شكلت عملية إدارة وتسيير السكان الجزائريين بداية الاحتلال الفرنسي جانب كبير من الأهمية لدى الساسة و العسكريين الفرنسيين على السواء، و رغم الطابع القهري الذي اتسمت به توسعات الاحتلال ، فقد حاولت من جانب أخر القيادة العسكرية الأولى– بناء على الدراسات و المعطيات المستقاة حول أحوال الجزائر قبيل الغزو –أن تستغل توجه بعض الأعيان من الأهالي في الاستفادة من طموحاتهم في خدمة الأمن بمناطقهم[21]** ومثلها كباقي مناطق الجزائر وجدت الحضنة بداية الاحتلال في وضع إداري تشابه في كثير من أشكاله مع ما حصل في أقاليم أخرى كقسنطينة و مجانة ،وقبل الوقوف عندها ، فانه من الضروري تقديم الحضنة و خصوصية جغرافيتها .

تناولت الكتابات الفرنسية باختلاف مجالاتها كلمة الحضنة ككلمة لها دلالة جغرافية و بشرية أكثر منها إدارية أو سياسية ،والمعروف ان اسم الحضنة قد غاب في الكتابات التاريخية العربية التي تناولت الفترة الوسيطة بالدراسة ،واغلب الكتاب الفرنسيون الذين كتبوا أكثر من غيرهم عن الحضنة يرجعون بداية ظهور اسم الحضنة إلى الفترة المتأخرة من الحكم العثماني، و قد أطلقه أهالي المنطقة بالعربية على السهل الواسع الذي يمتد نحو السبخة المالحة للمسيلة أو ما يطلق عليها أيضا بشط السعيدة و.تمتد هذه السبخة من الشمال إلى الجنوب بين سلسلتين جبليتين تكونتا مع جبال البيريني في أوربا[3] هما الأطلس التلي والصحراوي اللذان يحتضنان السهل،وموقع الحضنة الذي تبدو فيه محاطة بحزام جبلي في شكل قوس من الاوراس وجبال بلزمة من الشرق إلى جبال ونوغة غربا عبر جبال بوطالب و المعاضيد شمالا إلى جبال بوكحيل جنوبا و التي تتصل بجبال بوسعادة و جبال سالات ،تشكل حدودا جغرافية بين المناطق المتوسطية التلية،والسهول السهبية والصحراوية للحضنة والزيبان، إن امتداد المياه من منابعها من جبال التل نحو الحضنة جعل الصلة والترابط بين سكان الجبال والسهول مستمرا،لذلك استمرت الحضنة منطقة عبور و احتضان الشمال والجنوب والشرق والغرب جامعة ما عرف بإقليم الجزائر الشرقية[4]، الوضع و الإطار الذي وقعت فيه منطقة الحضنة بين بداية الاحتلال 1838 إلى ثورة المقراني 1871, جعل في كثير من المرات استعمال مصطلح الحضنة كمرادف لمقاطعة إدارية غير ثابتة الحدود، و ليس لها صلة بالمفهوم الجغرافي للحضنة، فقد أطلق مصطلح الحضنة في إطار القيادات التقليدية القديمة نهاية

العهد العثماني ، التي حاولت فرنسا الإبقاء عليها سنة1838 بسبب ظروف بداية الاحتلال وحاجتها لمساعدة القوة الأهلية من العائلات النافذة ،و لم يكن حينها للقيادات ثبات في الحدود الجغرافية في العهد العثماني ،مثل قيادة المقراني، و قيادة شيخ العرب فرحات بن سعيد, فالأول امتد نفوذه على كامل الجزء الغربي للحضنة و يصل أحيانا إلى أجزاء واسعة[5]من الحضنة الشرقية و كان يطلق على هذه القيادة, بقيادة الحضنة [6]،و الثاني و إن لم يكن يدير المنطقة الشرقية بمصطلح الحضنة, إلا أنه و بعد بداية الاحتلال 1838 أصبح شيخ العرب على قيادة جديدة عرفت بقيادة الحضنة الشرقية. ان القارئ لتاريخ منطقة الحضنة قبل الاحتلال لا يجد استعمال مصطلح قيادة الحضنة إلا في نهاية الحكم العثماني في إطار القيادات التي منحت لخليفة مجانة الشيخ المقراني و عائلته ،و استمر هذا مرادفا للأجزاء الشمالية الغربية و الجنوبية لشط السعيدة أو شط الحضنة .يعين القيادة خلا العهد العثماني عادة من باي المقاطعة، باقتراح من قائدها العسكري الذي يعرف بـــ"الآغا". ويتم اختيارهم بناء على ما يتمتعون به من جاه ومكانة، سواء أكان ذلك بالوراثة أو بالاكتساب. وكان هناك صنفان من القياد: قياد المهام وقياد القبائل.

– قياد المهام منهم على سبيل المثال قياد تحصيل الضرائب: قايد العشر، قايد الإبل، قايد الدخان..الخ.

– قياد القبائل ويتمتعون بسلطات واسعة نسبيا، تشمل الجوانب السياسية والإدارية والقضائية والجزائية، فضلا عن تولي الإشراف على الأسواق الأسبوعية للقائل. وأقام الأمير عبد القادر، نظاما مماثلا في حدود دولته التي امتدت أيام قوته من بجاية شرقا إلى تلمسان غربا. فقد قسم فضاء دولته إلى ثماني مقاطعات، عيّن على رأس كل منها خليفة له. وكانت كل مقاطعة تضم عددا من الدوائر، على رأس كل منها آغا يشرف على عدد من القبائل، على رأس كل منها قايد بمساعدة عدد من الشيوخ بعدد فرق هذه القبائل. وغداة احتلال الجزائر ــ بدءا من 1830 ــ حافظ الغزاة الفرنسيون على تسمية القايد والآغا وأضافوا إليها الباشاغا.. لكن بمضمون دون المضامين السابقة، بعد أن أصبحت عنوانا لمهام تنفيذية، تختلف في جوهرها عن المهام السابقة القريبة من الوظائف السلطانية (السيادية). وأبرز دليل على هذا التدني في الأهمية، أن هذه الأسلاك المساعدة أصبحت تحت إشراف هيئة عسكرية باسم "المكاتب العربية". فقياد القبائل مثلا، أصبحوا يعينون

على مستوى الدوائر، حيث يوجد مكتب رئيسي للشؤون العربية يديره ضابط برتبة عقيد. ويأتي اقتراح تعيين هؤلاء من مكتب الدوار للشؤون العربية.

التقارير العسكرية و الإدارية الفرنسية الأولى تستعمل مصطلح قيادة الحضنة بالنسبة للأقاليم التي خضعت إلى خليفة مجانة محمد المقراني، مثل قيادة الحضنة التي ضمت سنة 1838 مجموعة من المشيخات امتدت جنوب محيط برج بوعريريج العسكري ضمن إدارة محيط او دائرةcercle بوسعادة العسكري الذي استحدث على إثر ثورة الزعاطشة 1849 . بينما استعمل مصطلح الحضنة الشرقية عند قيادة محيط باتنة العسكري سنة 1845 دون أن تتم عملية تقسيم إدارية أو عسكرية لمنطقة الحضنة .

و لم يكن التمييز في تقسيم الحضنة الى غربية و شرقية يعتمد على أسس أو فواصل جغرافية أو اثنيه بقدر ما اعتمدت فيه فرنسا مبدأ التحكم الإداري و القضائي للأهالي بالشكل الذي يبعدهم عن اطر الاحتكام التقليدية.

فالنصوص الأولى التي تكرس الوجود الفرنسي في منطقة الحضنة عامة و التي تعود إلى تاريخ 1838/09/30 تشير إلى وجود شبه عقد أبرم بين فرنسا و كبار أعيان المنطقة الذين أعلنوا الولاء لها على أن تكون لهم إدارة المنطقة باسمها[7].

و المعروف أن الحضنة كانت قبل هذا التاريخ تحت قيادة كل من أحمد المقراني خليفة مجانة بعد انقسام عائلة المقراني إلى صفين، حيث تولي عبد السلام المقراني خلافة الأمير عبد القادر في مقاومة الاحتلال, إلى جانب شيخ العرب فرحات بن سعيد قبل أن تنزع منه القيادة لصالح بن قانة .بينما اتجه احمد المقراني إلى صف فرنسا .و تكونت بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر الشرقية خمس خليفاتkhalifas او قيادات كبرى بمقاطعة او departement قسنطينة تحت سلطة الحاكم العام و تحت السلطة المباشرة لقيادة الجنرال قائد المقاطعة الذي يملك الصلاحيات الواسعة في مقاطعته ، وكانت سلطة شيخ العرب و خليفة مجانة تتم باسم فرنسا. عملت فرنسا في البداية على استقطاب العائلات النافذة بالحضنة كوسيلة للنفوذ و السيطرة على الأهال[8]، لأن منطقة الحضنة و نظرا لتكوينها الاجتماعي و صعوبة اختراق عروشها ،والتي عادة تتضامن فيما بينها ضد الدخيل الأجنبي و تنسى خلافاتها التقليدية جعلت فرنسا في وضع صعب عليها مسالة إدارتها . حاولت فرنسا استغلال الانقسامات التقليدية بين قبائل

المنطقة و حتى التي طرأت عقب ظهور الاحتلال, فعائلة أولاد المقراني انقسمت إلى صفين صف أحمد المقراني الذي أعلن انضمامه و قيادات الحضنة وأولاد دراج .و من جهة أخرى كانت منطقة الزاب المحاذية[9] للحضنة مقسمة إلى صفوف منذ أواخر العهد العثماني, صف بوعكاز وصف بن قانة). كما قدم فرحات بن سعيد بن بوعكاز ولائه للجيش الفرنسي منذ 1831 و استسلم بوعزيز بن قانة مرغما دون أن ينسى حقده لبن سعيد ،و قدم الاثنان خدمات جليلة للجيش الفرنسي ،كما أشارت إليه التقارير العسكرية الفرنسية[10] و نذكر بعض الكتابات التاريخية أنه في مارس 1831 تقدمت شخصيات من عائلات نافذة بالجزائر ولاتها للجنرال منها عبد السلام المقراني و بن قانة وابن يلس بوضياف وبوراس). وعند تولية فرحات بن سعيد سنة 1838 و من بعده بن قانة على قيادة عروش الجهة الشرقية للحضنة, لم يكن لها علاقة أو ارتباط بهم و لا بالأرض التي لهم سلطة عليها.

فعروش الحضنة عبارة عن مجموعة من الفرق في شكل غير متجانس الا في اطار الجوار و المصاحبة وكثيرا ما تثار بينهم الحروب و النزاعات, لكن تتم الوحدة بينهم بسرعة في حالة النزاع مع الغير, ويبرز عرش أولاد دراج هذه الظاهرة الاجتماعية و السياسة في آن واحد.ونظرا لامتداد منطقة الحضنة و سهولة التنقل فيها ،فقد استمرت تشكل أحيانا وحدة اجتماعية كان الإحساس المشترك بالانتماء إليها من بين العوامل الأساسية في محاولة الاحتلال الفرنسي إدارتها بطريقة تقضي على هذه الوحدة التي شكلت في نظره أساس المقاومات المحلية.

إدارة الأهالي بالحضنة الشرقية:1838-1844: كانت مسالة إدارة الجزء الغربي من الحضنة بالنسبة للجيش الفرنسي اقل شانا عنها من الجزء الشرقي لان أسرة المقراني تحكمت فيها نسبيا انطلاقا من سلطتها القديمة عليها ،ومن جانب آخر لم تحض الحضنة الشرقية بمركز حضري يجمع السلطة،بحيث تفرقت بين سلطة قيادة الزيبان بقيادة بوعزيز بن قانة أحيانا و قيادة الاوراس أحيانا أخرى. عملت القيادة العسكرية للاحتلال الفرنسي علـــى بث الانقسام و النزاع بين المقرانين و عائلة بوعزيز بن قانة, لذلك أبعدت بن قانة و فصلته عن نفوذ المقرانين بإقليم الحضنة بعد أن تولي قيادة الحضنة الشرقية مكانه فرحات بن سعيد و نصبت فرنسا على المركز الجديد الذي استحدثته لقيادة الحضنة

الشرقية ،و هو بريكة أحد أفراد عائلة المقراني و هو سي مقران بن سي محمد الحاج ،الذي جيء به من منطقة مدوكال, وهو من عائلة مرابطية, ومنحته قيادة كل من الحضنة الشرقية و الصحاري و مدوكال و القنطرة[11] .

لم تكن هذه القيادة الجديدة للحضنة الشرقية [12]سوى وحدة إدارية تكونت لسبب سياسي حسب التقارير الفرنسية ولم تشكل وحدة جغرافية أو اجتماعية, بحيث ضمت عروش متباينة و متنازعة و مختلفة في انسجامها الاجتماعي و انتمائها (أهل الصحاري أو الزيبان – أهل الحضنة). و قسم حوض الحضنة إلى قسمين' القسم الغربي أصبح تحت قيادة الخليفة المقراني[13] (كان القسم الأعلى لواد بريكة و بيطام خارج هذه القيادة) لأنها تضم عروش أولاد سلطان و لخضر حلفاوية و سقانة التابعين للقيادة المستقلة لمحيط باتنة العسكري،و كان من الضروري إيجاد مركز لهذه القيادة الجديدة, فكان الاختيار على مقر القايد الموجود بسوق بريكة الذي مثل نواة المدينة الجديدة باعتبارها تقع على الطريق الرابط بين المسيلة و باتنة، و على حدود عروش الحضنة مثل أولاد دراج و حدود الصحاري و كذا ممر للقوافل العابرة للصحراء و الزيبان الصاعدة نحو التل و مدينة سطيف, و بإمكان القايد قيادة المنطقة الشرقية للحضنة من هذا المركز[14] الذي لم يمثل سوى مبنى القايد الذي تم إنجازه من طرف الجيش الفرنسي بعد احتلال المنطقة.

كانت تمثل هذه القيادة الأولى للحضنة الشرقية سوى مرحلة انتقالية فرضتها ظروف انتصاب الإدارة الاستعمارية بالمنطقة، و أهداف التوغل نحو الجنوب الجزائري, كما أن الأحداث التي تشهدها الحضنة بداية الاحتلال و تجدد المقاومات بها سنوات 1840– 1843– 1845 ،جعل الإدارة العسكرية الفرنسية خاصة بعد الحملات العسكرية التي قادها الجنرال لوفا سور Levasseur من اجل تهدئة الوضع سنة 1845 ثم انتفاضة كامل الحضنة إلى جانب ثورة الزعاطشة 1849, إلى إعادة النظر في إدارة الأهالي و في تنظيم القيادة بالحضنة الشرقية .

–دور المكاتب العربية في إدارة الأهالي بالحضنة الشرقية 1844–1871: منذ 1844 تولى سي المقران بن عبد القادر قيادة الحضنة الشرقية وأضيف إليها منطقة الصحاري و مدوكال و القنطرة, و كانت رغبة فرنسا في تعيينه بسط الأمن و الهدوء بشخصيته نظرا لمعرفته لأهالي المنطقة, إلا أن تطور الأحداث التي فلتت من قيادته

و من سلطتها جعلها تعيد النظر في تنظيم إدارة أهالي المنطقة, خاصة إثر أحداث الزعاطشة 1849[15], فجاءت بتنظيم 1849 . كانت منطقة بريكة التي أصبحت مركز قيادة الحضنة الشرقية تحت قيادة القايد سي المختار بن دايخة, وهو رجل حيوي قدم خدمات كبيرة لقوات الاحتلال الفرنسي خاصة في مسائل إجلال الأمن و إخضاع عروش المنطقة القوية و دوره خلال ثورة الزعاطشة. إلا أن السياسة العربية الجديدة لفرنسا لم تتلاءم مع مثل هذه الزعامات التي نفذ دورها و لم تعد بحاجة إليها[16].

وقد كان لتقلص مكانة القايد سي المختار بن دايخة عند الفرنسيين مناسبة لعائلة بن قانة التي أقدمت على تعيين أحد أفراد عائلتها كقائد للحضنة و هو سي بولخراس بن محمد بن الحاج بن قانة ،في الوقت نفسه لم يعد لسي المختار بن دايخة نفوذ على عرشه أولاد علي بن صابر[17] و أولاد سلام. وفي حقيقة الأمر إن القيادتين الجديدتين لبن دايخة و بولخراس بن قانة, قد تم وضعهما تحت سلطة المحيطين المجاورين لهما, فقيادة بولخراس بن قانه خضعت إلى محيط بريكة العسكري المستحدث و قيادة سي المختار بن دايخة خضعت إلى محيط باتنة العسكري.

وفي هذا التغيير للقيادات كانت فرنسا تضن أنها لم تعد بحاجة إلى زعامات الأهالي لقيادة الحضنة و تعتقد أن لها من القوة العسكرية ما يجعلها تحت إشراف الجيش الفرنسي مباشرة. ففي مارس 1844 كون المارشال بوجو المكاتب العربية و لم يكن في مقاطعة قسنطينة آنذاك سوى 5 خمسة مكاتب عربية هي[18]: المكتب العربي لعنابة, قالمة, سكيكدة, القالة و سطيف كما وضع أمر 15 أفريل 1845 تحت أوامر قيادة المحيط العسكري المكلف بإدارة المناطق العربية كل الموظفين و العمال الأهالي من كل الدرجات و من ضمنهم القياد و الزعماء الآخرين كالمقراني[19] و بن قانة...الخ

وتكونت حول الحضنة مكاتب عربية في كل من بوسعادة وباتنة و بسكرة وبرج بوعريريج وبريكة, منحت للإدارة الفرنسية مراقبة أكبر و إدارة مباشرة للأهالي عن طريق الضباط الفرنسيين.

لقد كتبت التقارير العسكرية عن الوضع العام للقوات الفرنسية و الإدارة المحلية بالحضنة بعد 1849 بأنها أصبحت في وضع أحسن من بداية المقاومة بها سنة 1838 رغم أن هذه العملية الانتقالية في إدارة الأهالي و التي اعتبرت عنيفة بالنظر إلى مكانة

الزعامات التقليدية و حاجة الاستعمار إلى مزيد من السلم, فإنها كونت جو من النقاش الحاد داخل الغرف الفرنسية و حملات الصحافة الفرنسية كموظفين فقط و ليس عسكريين لم تكن مصاغة من قبل الديمقراطية الفرنسية آنذاك و لا حتى في الأفكار الإدارية للفرنسيين, كما أن هذه العملية التي أشركت الأهالي في إدارة بعض أمورهم لم تكن معتادة لديهم أو في أفكارهـــم و التـــي كـــانت تفـــرض عليهم إدارة السلم و الأمن في عروشهم و جعلهم حراس هي في حد ذاته الهدف الأول من هذا التنظيم الإداري الجديد لسنة 1849[20]. لم يعد القايد سي المختار بن دايخة[21] الرجل النافذ بالحضنة الشرقية بعد قدوم أول ضابط للمكتب العربي لبريكة سنة 1858 وهو شولزو chollesou .الذي أصبح القائد الأول الموجه و المتصرف في القايد بن دايخة ،

وقبل استحداث فرنسا للمكتب العربي لبريكة ،و من بين العوامل التي عجلت باستحداثه هو انتفاضة عروش الحضنة مع المرابط محمد بوخنتاش سنة 1860 بالبراكتية بعرش أولاد دراج, فكانت هذه الانتفاضة جد صعبة على السكان و القيادة و الأرض, فمن جهة تعرض عرش أولاد عمر إلى مصادرات هامة للأراضي و ضرائب حرب كبيرة. كما أقدمت فرنسا على حذف المشيخات القديمة الخمسة (أولاد عمر) و تم جمعها في قيادة جديدة للشيخ بيبي محمد [22].

كانت المقاومة الشعبية التي تجددت بمنطقة الحضنة كانتفاضة بوخنتاش و انتفاضة أولاد ماضي 1864 من بين العوامل الأساسية التي دفعت الاحتلال إلى إعادة النظر في قيادات الحضنة, و بسبب مواقف عروش الحضنة إلى جانب هذه الانتفاضات و انتقامهم من رموز الاحتلال خاصة خلال ثورة 1864.و ربما تعيين الشيخ بيبي محمد يندرج في إطار رد الجميل للأعيان الذين قدموا الولاء أو عدم الاعتراض لها. قام الاحتلال من جديد بإعادة تركيب قيادة الحضنة[4] و ذلك بإلغاء المشيخات الستة التي كانت موجودة بقيادة أولاد دراج و تعويضها بقيادة مستقلة للشيخ بن الدري، كما أقدمت سلطة الاحتلال سنة 1865 على تدعيم القيادة العسكرية بضباط فرنسيين إلى جانب الزعامات الأهلية [23]

-التنظيم الإداري للحضنة الشرقية في ظل الحكم المدني1871-1890: كانت انتفاضة المقراني التي اهتزت لها كامل الحضنة عاملا هاما في إحداث تغييرات على مستوى إدارة الأهالي, و بدا تقسيم الحضنة أكثر وضوح من السابق, و لأول مرة ظهر في

التقارير الرسمية الفرنسية مصطلح قيادة الحضنة الغربية و قايد الحضنة الغربية على التقارير المعطاة للقياد منـــذ 1871. و كـــان هـــدف الحكم المدني توسيع نفوذ الاحتلال و دائرة الاستيطان و الوصول إلى الحكم المباشر للأهالي.

أدى قرار 20 ديسمبر 1873 إلى تحول مركز الحضنة الشرقية الذي كان عبارة عن مركز عسكري ببريكة إلى سبط سيطرة الجيش الفرنسي على عروش الحضنة, و توطيد الأمن و التحضير لعملية تكوين مراكز الاستيطان التي كانت الشغل الشاغل للهيئة القيادية العليا للاحتلال[24] . ضم الملحق العسكري لبريكة و الذي يخضع لقيادة باتنة كل من إقليم الحضنة الشرقية و عروش أولاد سلام و أولاد علي بن صابر و أولاد سلطان و قسم الملحق إلى قيادتين:

1) **قيادة الحضنة الشرقية:** و تضم كل من أولاد سلام و أولاد علي بن صابر زيادة على أولاد سحنون (أولاد دراج الشراقة) الذي فرق عديدة منها ما ينتمي إلى عرش أولاد دراج الذي يمتد إلى الحضنة الغربية و أهم فرقه[25]:

أولاد محمد, أولاد عبد الرحمان, الثعالب, أولاد أحمد, أولاد عمار, أولاد عبد الله, أولاد زميرة, الفشايش, السلالحة, أولاد سيدي غانم, أولاد بوستة. و يرئس هذه القيادة سي إسماعيل بن علي و مقره بريكة.

2) **قيادة أولاد سلطان:** و مقرها مدينة نقاوس و يرئسها سي مخمد بن باشطارزي[26].

هذا التنظيم الإداري الجديد تم تعديله جزئيا في 10 ماي 1874 بإلغاء دوار بيضاء برج من عرش أولاد سلام حيث ضم إلى مقاطعة مدينة العلمة (سانت أرنو) طبقا للقرار الصادر في 28 أفريل 1874. بدأ ملحق بريكة العسكري العمل رسميا في 1 مارس 1874 تحت قيادة النقيب لوسطوك lestocq ثم عوض في ماي 1874 بالنقيب بيسوال bissuel الخبير في الشؤون العربية و الذي استطاع بحنكته إحلال الأمن بالمنطقة بين سنوات 1874_ 1877[27].

و يتحـــول محيط باتنـــة إلـــى بلديـــة أهالـــي سنة 1875 تحولت بريكة إلى فرع منها و استفادت بذلك بجزء من ميزانيتها, غير أن محيط بريكة لم يكن سوى خلية عسكرية صغيرة يمثلها رئيس الملحق لوحده الذي كتب مرارا عن هذا الوضع.من جانب العمال, لا

يمكــن القــول أن ملحق بريكـــة مـــوجود فعلا, لان رئيس الملحق ليس له نائب, و لا مترجم و هو عبارة عن رئيس مركز فقط chef de poste "[28]

لقــد قـــام النقيب bissuel بعمـــل هام و دراسة ميدانية حول الحضنة الشرقية و خاصة أهالي و شخصيات المنطقة بمساعدة القايد سي إسماعيل و القايد شيطارزي, وترك دراسة تاريخية هامة حول الإخوان بالحضنة و لم يكن في هيكل إدارته سوى 4 أشخاص من الصبايحية أصبحوا 8 في 1876 [29].

وقد لا يجد الانسان الاجابة عن اشكالية ادارة فرنسا لاقليم الحضنة الشرقية في ظل العدد البسيط من العسكريين الذين وضعوا تحت تصرف رئيس مركزها ببريكة،وعن الوظع العام الذي سهل تقهقر الزعامات التقليدية بالمنطقة.

أحدثت انتفاضة المقراني آثارا عميقة على كافة أراضي و سكان الحضنة, خاصة الغربية منها, فالمتابعات و المصادرات و ضرائب الحرب دفعت بعدد هام من الفرق إلى الهجرة خارج المنطقة, و لم يتوقف الحد عند ذلك,بحيث أقدمت الإدارة الاستعمارية على تفكيك الوحدات القبلية التقليدية بدافع الانتقام من مساندتهم لثورة المقراني, و جعلتهم ضمن تنظيم إداري غريب عنهم و متعب لهم.

أقدمت فرنسا على إدخال تعديل في التنظيم الإداري للحضنة الشرقية بسلخ أقوى عروش الحضنة الغربية الي الهنافقوا مع المقرانيين و هو عرش السوامع و وضعه ضمن الملحق العسكري لبريكة بقرار جوان 1875.ومثل هذا التصرف في حف عرش لا صلة له بالحضنة الشرقية ،لا بعروشها و لا بجغرافيتها،لان عرش السوامع المعوف بحركته بماشيته كانت وجهته دائما السهول القسنطينية و الهضاب العليا السطايفية.وكان دافع الانتقام واضحا جدا من هذا التصرف الاستعماري الذي لم يكن ليبقى،فقد دفعت فيما بعد الاحتجاجات وخوف فرنسا من الفوضى إلى إعادة عرش السوامع إلى وضعه الإداري الطبيعي ضمن الحضنة الغربية. كما أن بداية تطبيق النظام المدني بالمنطقة أدى إلى اقتطاع عروش أولاد علي بن صابر و أولاد سلام و أولاد سلطان من ملحق بريكة العسكري لفائدة البلدية المختلطة الجديدة لنقاوس في 07 مارس 1881 [30].

ظلت تساؤلات الضباط الفرنسيين قائمة حول عملية توسيع الحكم المدني بملحق بيركة و حول إمكانيات خلق مراكز الاستيطان بها, نظرا للوجود الضئيل للفرنسيين بالملحق من

جهة و إهمال القيادات العربية التي كانت تساعد رئيس الملحق (رغم أن الاحتلال كافأ القايد سي إسماعيل أغا على توقرت بعد أن قضى 22 سنة في خدمة الاحتلال الفرنسي)[31] تحولت بريكة إلى بلدية أهالي commune indigène بقرار 1885/01/17 و منحت استقلالية مالية عن بلدية باتنة للأهالي سابقا.وسع هذا القرار حدود بلدية بريكة للأهالي على النحو التالي:

1- قيادة الحضنة الغربية (أخذت منها عرش السوامع و مشيخة أولاد إدريس التابعين سابقا لملحق المسيلة العسكري).

2- مشيخة سقانة التابعة لباتنة سابقا.

3- مشيخة الصحاري و مشيخة مدوكال و مشيخة القنطرة التابعين لمحيط بسكرة العسكري سابقا.

على أثر هذا التنظيم أصبحت بريكة تضم: 3 قيادات هي قيادة الحضنة الشرقية و الحضنة الغربية و السوامع و 5 مشيخات مستقلة هي: مشيخة أولاد إدريس, و السقانة و الصحاري و مدوكال و القنطرة[32]

الملاحظ على هذا التنظيم الإداري الجديد للحضنة الشرقية أنه أحدث تغييرات هامة على مستوى خريطة الحدود الإدارية, و الأهم من ذلك هو الخروق التي تمت على المستوى القبلي و الاجتماعي للمنطقة, فالقطاع الجنوبي للحضنة الذي كان يضم عروش ذات حدود مشتركة و تربطها علاقات تكامل مثل عرش لخضر حلفاوية في دوار سقانة و أولاد سحنون و السلالحة قد تم ربطهم بسلطات إدارية مختلفة, فلخضر حلفاوية عوض أن يتم ربطها بباتنة الأقرب لها تم وضعها في مشيخة تابعة لبريكة , و مشيخة سقانة المستقلة وجدت نفسها في شبه عزلة إدارية بعد أن تحولت بلدية عين توتة إلى الحكم المدني.

كما أعيد تنظيم إقليم الصحاري الذي تعاقبت عليه قيادات عديدة منذ ثورة 1871, وضمت إليه مشيخة مدوكال و القنطرة و اللوطاية تحت إدارة الباشا غا سي محمد بن جناح و ضمت إلى ملحق بريكة سنة 1885[33] ، كما أحدث قرار 18 أكتوبر 1885 تغيرات إدارية على إقليم بريكة بحيث اقتطعت منه لفائدة بسكرة كل من البلدية المختلطة لعين التوتة و دوار القنطرة و دوار اوطاية و عرش أولاد زيان.

لم تكن كل هذه التنظيمات الإدارية ملائمة للنسيج الاجتماعي و التوزيع الجغرافي للسكان المتعارف عليه قبل الاحتلال, وطوال هذه الفترة كانت الشكاوي و المراسلات الإدارية و الشخصية و الجماعية تلح في كل مرة على ضرورة إزالة الخروق التي اعتمدت من قبل الاحتلال و التي لم تخرج عن دائرة التقسيم و التفتيت الاجتماعي و القبلي و توفير عوامل نجاح الحركة الاستيطانية بعد 1871[34]

لقد وجدت تقارير لا تحصى من أهالي الحضنة و من جميع المناطق تناشد الإدارة و الهيئات العليا بإعادة النظر في التنظيمات الإدارية التي وضعت و كانت بلدية المسيلة المختلطة من بين البلديات التي حاول متصرفوها الإداريين مواكبة الموروث التقليدي في العلاقات الاجتماعية التي ربطت الأهالي بالجماعات و الأعيان و طالب متصرفها الإداري بضرورة إعادة المناطق التي سلخت من ملحق المسيلة سابقا سنة 1871اثر انتفاضة المقراني مثل عرش السوامع و أولاد دراج الشراقة.

كما أن بعض التقارير العسكرية كانت ترى في عدم جدوى تكوين بلدية بريكة للأهالي و ضرورة إزالتها نهائيا و تقسيمها بين البلديات [35].وما يفسر هذا الاتجاه هو تأخر تحويل الحضنة الشرقية الى إدارة البلديات المختلطة كما هو الحال بالنسبة للحضنة الغربية التي تكونت بها بلدية المسيلة المختلطة منذ جانفي 1885.

لذلك جاء قرار عدل حدود الحضنة الشرقية لفائدة الحضنة الغربية سنة 1890 باعتبار أن الأراضي التي أرادت فرنسا ضمها لبريكة انتقاما لها هي امتداد طبيعي للحضنة الغربية (عرش السوامع و أولاد عدي و أولاد دراج , كما أن من عوامل هذا التنظيم هو الدور الجديد الذي بدأت بلدية المسيلة المختلطة تلعبه كوسيط إداري و جغرافي بين بوسعادة و البرج و باتنة.

أصبحت حدود الحضنة الشرقية طبقا لقرار المجلس المشيخي الصادر في 28 أفريل 1887 المنفذ بقرار 23 مارس 1889 كالتالي[36]:

– من الشمال يحدها عرش ريغا لقبالة و دوار أولاد تبان القديم التابع لريغا الظهارة (بلدية ريغا المختلطة) و كذا عرش العياضات التابع لبلدية البرج المختلطة إلى بلدية المسيلة المختلطة شمالا.

– من الشرق يحدها عرش أولاد علي بن صابر إلى حدود أولاد سلطان التابعة لبلدية أولاد سلطان المختلطة و دوار سقانة التابعة سابقا لعرش لخضر حلفاوية التابعة لبلدية بريكة للأهالي.

– من الجنوب يحدها دوار بيطام التابع سابقا لعرش الصحاري التابع لبلدية بريكة للأهالي و كذا عرش أولاد سيدي سليمان التابع لبلدية بوسعادة للأهالي التابعة بدورها لمقاطعة الجزائر.

– من الغرب يحدها دوار الحوامد التابعة لبلدية الأهالي لبوسعادة ودوار أولاد سيدي حملة من عرش أولاد ماضي و عرش السوامع و دوار أولاد ولهة و أولاد قسمية التابعين لعرش أولاد دراج التابعة لبلدية بريكة سابقا.

الملاحظ أن الحدود الشمالية و الغربية للحضنة الشرقية كانت تمثلها قبل تطبيق قانون سيناتوس كونسيلت قيادة وادي القصب التي كانت تتألف من عروش ثلاثة هي:

1) عرش وادي القصب و يضم فرق: ملوزة, بني يلمان, الخرابشة, الدريعات التابعين لبلدية البرج ثم ضموا إلى بلدية المسيلة المختلطة سنة 1885.

2) عرش أولاد خلوف و ضم فرق: القصور, المكارطة, الرابطة, لقمان التابعين لبلدية البرج (ضمت لقمان إلى المسيلة سنة 1885) .

3) عرش العياض و ضم : غيلاسة و الزمالة التابعين للبرج و أولاد حناس[37].

و قدرت فرنسا مجموع سكان الحضنة الشرقية سنة 1896 بـــ 11583 نسمة على مساحة من الأراضي: 254.124 هكتار[38].

عملت القوات الاستعمارية بداية احتلالها للحضنة على توطيد سلطتها على إقليم الحضنة الشرقية بفضل مساعدة الأعوان من الاهالى من ذوي النفوذ القوي و الرصيد التاريخي ،في ممارسة القيادة خلال الحكم العثماني، و كذا المتعاونون الجدد ،و قد مالت فيما بعد الى الاعتماد أكثر على الشخصيات النافذة لدى الاهالى من الشخصيات المتذبذبة المسار.

تعاقبت على الحضنة الشرقية منذ الاحتلال قيادات تقليدية في اغلبها كانت من عائلة المقراني ، و أحيانا من عائلة بن قانة ،ونرى ذلك كامتداد لنفوذهم القديم خلال الحكم العثماني ،و قد أرادت فرنسا ان تجنب نفسها مشقة وعناء المجابهة المجانية اتجاه الأهالي من جهة ،ومن جهة أخرى كانت بحاجة الى الى تامين جانب السلم بالمنطقة بسرعة بعد

تزايد حدة المقاومات بالمنطقة ،دون مراعاة الامتيازات التي منحتها ولو مؤقتا للعائلات النافذة بالحضنة ، وان كانت هذه الامتيازات على حساب بقية الأهالي في اغلبها ،و أحيانا كانت من عوامل الاضطرابات و الثورات كما حصل خلال انتفاضة بوخنتاش سنة 1860 ،وهذا عكس ما كانت تامل فيه القيادة العسكرية .و القيادات التى تعاقبت على الحضنة الشرقية في الفترة الممتدة بين بداية الاحتلال الى بداية القرن العشرين نرصد بعضها فيما يلي[39]:

جدول رقم 5 خاص بأهم قياد الحضنة الشرقية بين 1840-1900

القائد	سنة القيادة	المناطق التي تحت قيادته
سي مقران بن عبد القادر	1844-1849	الحضنة الشرقية + الصحاري- مدوكال- القنطرة.
سي لمختار بن دايخة[40]	1849-1860	الحضنة الشرقية+ أولاد سلام- أولاد علي بن صابر.
سي اسماعيل بن علي	1860-1882	الحضنة الشرقية+ أولاد سلام- أولاد علي بن صابر.
سي محمود بن علي لمسفلي	1882-1892	الحضنة الشرقية
سي العربي بن زقوطة	1892-1893	الحضنة الشرقية
سي محمود بن علي المسفلي	1893-1900	الحضنة الشرقية
سي الصغير بن ابراهيم	1900-1901	الحضنة الشرقية
سي محمد بن الحاج بن قانة	1901	الحضنة الشرقية

كانت فرنسا تبحث دائما في تعيين القيادات على الحضنة الشرقية و غيرها من المناطق جانب الولاء و الخدة التي تحفظ الأمن و السلم لها وتختارها وفق دراسة لنسب و تاريخ العائلة ومدى تأثير شخصية القايدعلى بقية الأهالي.

– تأثير انتفاضة المقراني في تقسيم الحضنة الى شرقية وغربية بعد 1871: رغم أن فرنسا باشرت في رسم الحدود الجزئية لمناطق الجزائر وفق ما جاءت به المادة 2 من قانون المجلس المشيخي 1863 إلا أن عملية ضبط الحدود بقيت دون تنفيذ إلا بعد أحداث ثورة المقراني التي أفرزت معطيات جديدة لفرنسا الاستعمارية و حددت لها رؤية جديدة في إعادة النظر في مسألة رسم الحدود لعروش الحضنة ككل, ويمكن قراءة روح التنظيمات الإدارية التي جاءت ليس من باب التنظيم فقط بل بهدف التمكين النهائي لتجسيد المشروع الاستعماري و تحقيق ظروف اسهل لحركة الاستيطان بالمنطقة. وقد نص قرار 23 مارس 1889 تحديد الحضنة الشرقية في إطار إدارة واحدة تتبع بلدية الأهالي لبريكة حيث باشرت لجان رسم الحدود اجمعية محاضر الجماعة الأهلية سنة 1890 و التي انتهت في عملية أولية بقرار 1892/09/01 ثم بالقرار الحكومي بتاريخ 1893/06/23 و 1894/07/24 فقد حددت الحضنة الشرقية بالحدود التالية:

تضم الحضنة الشرقية مساحة 254.124 هكتار و هي تتكون من 6 دواوير هي:[41]

1/ دوار بريكة: بمجموع السكان 3205 نسمة و بمساحة 38.410 هكتار (1886) و قد ضمت ملكية جماعية 37.930 هكتار و ملكية عامة 326 هكتار.

2/ دوار المتكاوك[42]: عدد السكان بلغ 2025 نسمة سنة 1886 و مساحة 105.860 هكتار.

3/ دوار الجزار عدد السكان 1331 نسمة 1886 و مساحة 33.484 هكتار.

4/ دوار مقرة: عدد السكان 2141 نسمة 1886 و مساحة 40.920 هكتار.

5/ دوار برهوم: عدد السكان 1202 نسمة 1886 و مساحة 19700 هكتار.

6/ دوار عين الكلبة: عدد السكان 1679 نسمة 1886 و مساحة 15.750هكتار.

وقد ضبط قرار 1894/07/24 كيفية حماية التنقل و الانتفاع [43]الطبيعي لشط الحضنة الواقع في الحضنة الشرقية لفائدة قبائل البدو الرحل لأهل الحضنة الغربية مثل أولاد ماضي, أولاد نجاع, أولاد عدي, أولاد دراج, أولاد غنايم, أولاد عبد الرحمان و أولاد سيدي إبراهيم التابعة خلال هذه الفترة ضمن مقاطعة الجزائر باعتبارها جزء من محيط بوسعادة العسكري. وبعد انتفاضة 1871 أصبح قائد خاص بالحضنة الشرقية وقائد خاص بالحضنة الغربية(بوضياف الصخري) ،إلا أن الملفت للنظر هو الطريقة التي

تعاملت بها فرنسا في مسالة التقسيم و الغاية منها، لان التقسيم جاء على أساس تفكيك الوحدات القبلية لمنطقة الحضنة ككل و التي كانت تجمعها روابط اجتماعية وعرقية و اقتصادية جوهرية ،و نلمس ذلك من إلحاق بعض الفرق من عرش أولاد دراج الكبير الى الحضنة الشرقية في الوقت الذي ضمت اغلب فرقه إلى الحضنة الغربية.

لم تكن الحدود بين شرق و غرب الحضنة لأغراض تسهيل الإدارة فحسب بل السيطرة و القضاء على روح التضامن و الالتحام الذي ظل يطعم المقاومات الشعبية لأهل الحضنة بكاملها ضد الاحتلال والمعمرون الجدد.

الهوامش:

-1**-نذكر هنا انتقال الوفد الهام من كبار أعيان الشرق الجزائري (مثل ابن قانة و ابن يلس و بوضياف و المقراني)في مارس1831 الى الجزائر لملاقاة الجنرال بيرتزان قائد الحملة الفرنسية لطرح مساعدتهم له في إدارة الأهالي بمناطقهم ،كما نذكر الرسائل التي كتبها هؤلاء الأعيان بعد ذلك الى قائد الجيوش الفرنسية بين سنوات 1831-1836.وكانت تنظر هذه الفئة الى الوضع الجديد من باب الوضع خلال الوجود العثماني بالجزائر(مثل رسالة شيخ اولاد ماضي بالحضنة الى قائد الجيش الفرنسي سنة 1834،و رسالة ابن قانة سنمة 1832 و رسالة جماعة اقليم ونوغة بالحضنة سنة 1832 -:انظر ذلك في الملاحق، وكذلك كتاب كوفيون ايدموند:أعيان المغاربة(جزء اقليم قسنطينة).

2

3– Savournin,(J):L'hydrologie du Hodna, Bulletin du service de la carte Géologique de l'Algérie, imp. Adolphe Jourdan, Alger, 1908, p35.

4– Despois,(J):La Bordure Saharienne de l'Algérie orientale ,in RA,1942,p196.

5 CAOM:8H7, annexe de Bari ka, rapport du 23/03/1871.

6- مصطلح الحضنة الشرقية بداية الاحتلال لا يعني وجود تقسيم إداري أو جغرافي لمنطقة الحضنة بصفة رسمية, كما أن قيادة شيخ العرب على الحضنة الشرقية نجدها امتدت إلى عروش الحضنة الغربية مثل أولاد دراج و أولاد عمر و أولاد نجاع،أنظر: CAOM.8H22

7 -CAOM: F/80/1674, expédition du générale De Negrier1840

عثرنا على عدة رسائل مرسلة من قبل كبار أعيان المنطقة مثل كبير عرش أولاد ماضي الشيخ بوضياف و كذا الشيخ فرحات بن سعيد الى فرنسا تريد من خلالها اخذ جانب من إدارة الأهالي باسمها-CAOM 8

9 -CAOM: 10H76 :historique de l'annexe de Barika1840-1860.

10.-CAOM: 2H25Bureaux Politique Centre de Barika,année 1847-1849.1851

11 -CAOM: 2H25 centre de Biskra historique de l'annexe de Barika

12 -CAOM: 2H25Bureaux Politique Centre de Barika,année 1847-1849.1851

.

13 -CAOM: 3K5 : division de Constantine 1841-1854.,Organisation du khalifa du Hodna.

14 - CAOM : 3K5 : Annexe de Barika, Personnel,tribus

15 - CAOM: 10H18: Renseignement historique et géographique du cercle de Biskra .07/12/1845.

16 - CAOM: 3K5, Division de Constantine, correspondance 1841.1854.

17 - CAOM : 10H76, historique de l'annexe de Barika, M'sila,1851

[18] - CAOM : 60K/47, correspondance avec le cercle de M'sila1845-1854 .
[19] - CAOM : 63K14, Khalifa de Medjana, organisation de 1849.

[20] -CAOM : 8H22, historique de Barika, rapport de 12/11/1850.
[21] -CAOM : 8H22, historique de Barika, rapport de 12/11/1850.
[22] –تعاقب على قيادة الحضنة الشرقية خلال الفترة الاولى للاحتلال ضباط المكاتب العربية بين سنوات 1860–1868 منهم الضابط فيللو VILLOT والضابط كرهول KRHOL والضابط. SHOSONشولزسون و ماريونت MAREONte و BRISEبريزي .

[23]-CAOM 2H17 COLONE DU HODNA[23]-CAOM:8h7 organisation khalifa medjana,1873

[24] - -–MINISTERE DE LE GUERRE: notice sur la division territoriale et population indigène de l'Algérie (1844-1845)P 101.

-–MINISTERE DE LE GUERRE: notice sur la division territoriale et population indigène de l'Algérie (1844-1845)P 101.
24- CAOM: 8H22: rapport du capitaine Bissuel juin 1874.

[26]-CAOM: 10h76, historique de l'annexe de barika,m'sila 1876.
[27] - CAOM: 10H76:historique de l'annexe de Barika, M'sila 1871.1880
[28] - - CAOM: 8H22: rapport du capitaine Bissuel juin 1874
[29] - - CAOM: 10H76.historique de l'annexe de Barika, M'sila rapport de 15/11/,1878
[30] - -CAOM: 10H76:historique de l'annexe de Barika, M'sila,rapport de 25/01/ 1876
[31] - - CAOM: 10H76: :rapport du capitaine Bissuel juin 1874
[32] - - CAOM: 10H76 ,historique de l'annexe de Barika,1876.
[33] - - IBID.
[34] - - CAOM:10H76:. Historique de l'annexe de M'sila, 1876
[35] - - CAOM: 8H22, rapport de 16/01/1887.
[36] - - BOGA:année 1895, commission administrative de senatus consulte,tribu hodna oriental dossier n°6 PP156-.
[37] - - ACMM :B 90,D2, pv d'application du senatus consulte ,,tribu hodna , 27/08/1889.

[38] - ACMM :B 90,D2, pv d'application du senatus consulte ,,tribu hodna , 27/08/1889.-

[39] - - CAOM: 2H19 Chefs indigènes (1844-1890

1-اعتبرت شخصية ابن دايخة من القيادات الأساسية التي كان لها دور في مساعدة ادارة الاحتلال - بالحضنة الشرقية و ترجع التقارير الفرنسية ان من بين اهم أسباب انتفاضة الحضنة سنة 1860 كانت تصرفات القايد المختار بن دايخة ضد الأهالي ،و خاصة في مسالة معاملة الأهالي و الضرائب،أنظر:

(- CAOM : 2H17 ,OULED AMOR 1860, COLONE DU HODNA ,1860..)

[41] - - BOGA : année 1895, P 157.

[42] - -ACMM :B45;modification aux communes mixte de M'sila,lettre de prefet a Monsieur le sous préfet de setif 04/07/1890.

[43] - -BOGA:année 1885,p1112